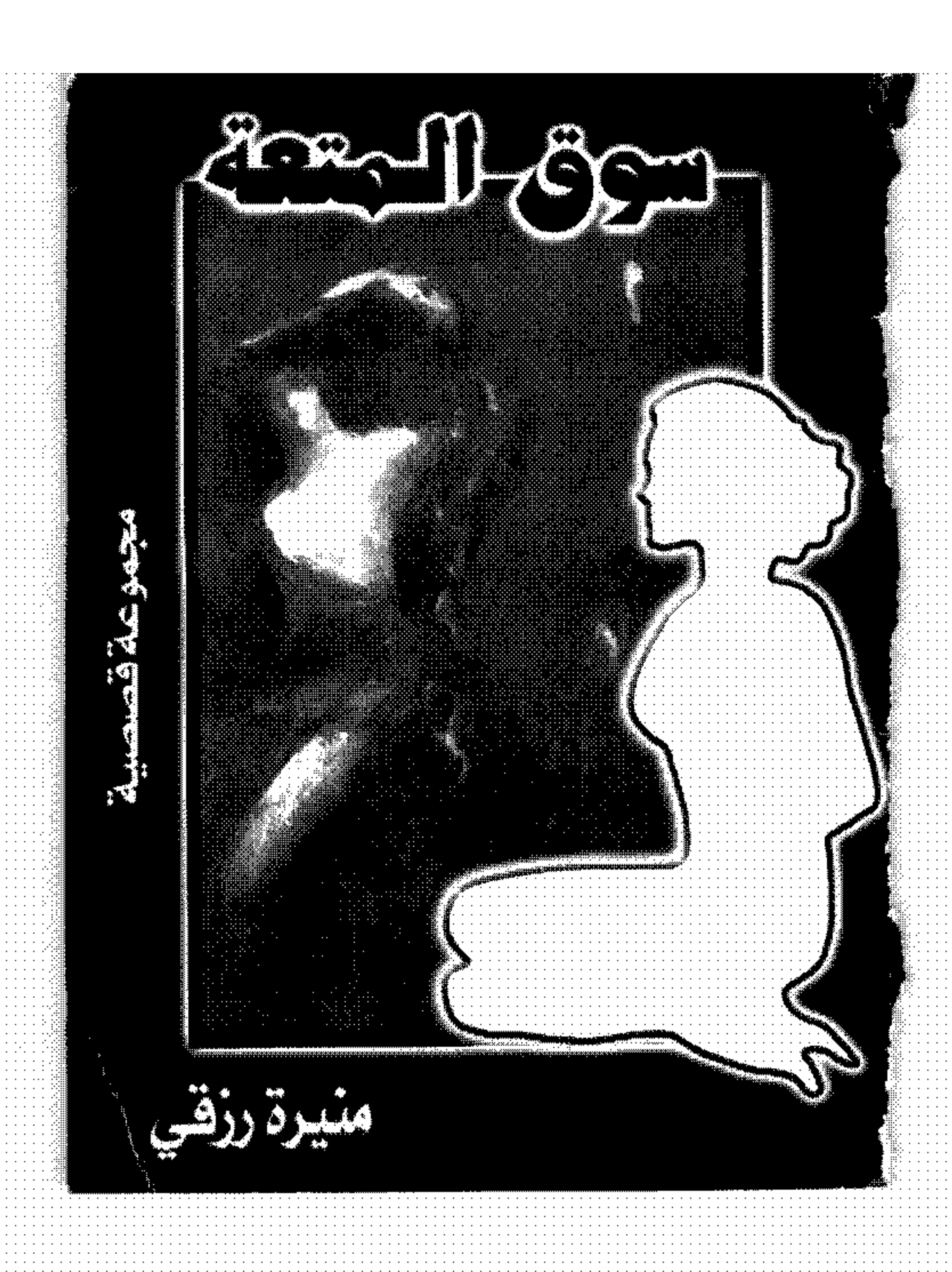

سوق المتعة
مجموعة قصصية
منيرة رزقي

رقــم الايــداع: ٢٠٠٣/٧٠٤٩

تصميم الغلاف: إبراهيم هارون

جمع و تنفيذ: أحمد فتحى - علا خطيب

تصــحــيح: محمد محيى الدين - جمال يوسف



الناشر:

المركز العربى للصحافة والنشر (مجد)

ARAB CENTER PRESS AND PUBLISHING "MGD"

القاهرة: ١٩٢ ش الملك فيصل - الطوابق

ت: ٣٨٢٥٠١١ ف: ٣٨٢٥٠١٢

البريد الالكترونى info@alghadalarabi.com
alghadalarabi@egypty.com

فوتوغرافيا للفنان: هورست



حنين

ـ لقد كنا هنا منذ خمسين عاما.

ـ لا لا أنت تبالغ، بل أقل من ذلك بكثير.

ـ يبدو أن ذاكرتنا قد ضعفت مع الأيام لكن الأكيد أننا كنا هنا ذات يوم.

ـ نعم كان ذلك رائع حقا.

أيّد قولها بإيماءة من رأسه.

لعبت الأطياف فى العيون الزرقاء فجأة ودارت الذكريات فى رأس الزوجين العجوزين، اتحدت مشاعرهما فزفرا زفرة حادة.

ـ هل أنت متأكد أن هذا النزل هو ذاك الذى آوى خطواتنا فى ذلك الزمان؟

ـ نعم يا عزيزتى إنه نزل الأطلنتيك، هذا لا ينسى أبدا.

ـ لكنه تغير يا فيليب.

ـ لقد شاخ مثلنا.

ـ لا تقل هذا أرجوك، أنا لم أغادر مملكة العمر الجميل.

تألقت عيناه فى لحظة ببريق غريب وراح يردد هامسا:

ـ كنت لذيذة مثل حبة كرز مغربى، كنت فى العشرين وكنت أكبرك بخمس سنوات، قررنا أن يكون شهر العسل فى مكان بعيد وغريب.

فى ذات اللحظة إنثالت الكلمات من بين شفتى كاتيا:

ـ قررنا أن يكون شهر العسل فى مستعمرة فرنسية على ضفاف المتوسط.

خفت الصوتان وقالت كلاما. التحمت الشفاه لكن القبلة كانت باردة فذبلت سريعا.

بعد صمت طويل أطبق عليهما، سمع أصواتا قادمة من الأسفل من مدخل النزل؛ جلبة وضوضاء.

خاطبها وقد بدت معانى الاشمئزاز على معالم وجهه الغائم:

ـ أين الهدوء الذى كان عليه هذا المكان يا كاتيا؟

ـ هيا نخرج الآن.

تشابكت الأيدى وغادرا النزل متعانقين.

ـ أذكر أن البحر كان قريبا من نزل الأطلنتيك.

ـ لقد تغيرت هذه المدينة كثيرا، كم كانت رائعة فى ذلك الزمان. باب مفتوح على الصحراء وواحة وبحر وأسماك لذيذة.. الآن صار الهواء ملوثا والبحر بدأ يفر، ويتراجع إلى الخلف.

ـ لا بأس لنذهب إليه مهما نأى، استقبله ينزع عنى أقنعة العمر فلا أملك إلا أن أكون بين يديه طفلة تلهو.

ـ ثمة غمامة ما، كآبة تظلل الأشياء. ألا تكون

هذه علامات العمر الهارب، الأفول يا كاتيا، أخشى الأفول.
ـ ها قد عدت يا فيليب مـرة أخرى إلى تهويماتك، كنت أظن أن مجيئى بك إلى مدينة شهدت متعتنا وصبوات حبنا سيغتال فيك كل كـآبة، بل سـيحـيى ذلك التـألق القـديم، لكن يبـدو انه من الأفضل لو بقينا فى تولوز.
قالت كلماتها الأخيرة بنبرة عتاب.. فأراد الاعتذار.
ـ أنا آسف يا عـزيزتى ثمة مـشـاعر أقـوى من إرادتنا.. ولكن لا عليك سـتـغـسل هـذه الرحلة كل الأتربـة التى تراكـمت مع التجاعيد.
ـ القلب لا يعرف التجاعيد يا رفيق العمر.
صمتت قليلا ثم نطقت بسرعة، أرادت ملاحقة فكرة قفزت إلى ذهنها فجأة قبل أن تتلاشى:
ـ لنذهب إلى الواحة هذا المساء.
ضحكت فاشتعلت عيناها بوهج طفولى جذاب:
ـ أريد أن احـتسى من ذلك الشـراب الذى يسـتخـرج من أصل النخل، أريد أن أسكر بخمرته فتغمرنى تلك النشوة التى احتلت كيانى عندما شربته لأول مرة.
ـ كم كان لذيذا ذلك الشراب، تُرى هل سيكون

الآن بنفس الطعم؟

- وهل تشك فى ذلك؟

- كل شيء تغير؛ المذاقات والألوان والروائح حتى زرقة البحر اختفى صفاؤها.

- أنت تهذي، لا يزال كل شيء نابضا بالحياة مثلنا.

عاد إليها التوهج مرة أخرى وهى تتذكر شيئا من ذلك الزمان:

- هل تذكرُ تلك المرأة التى خضبت لى يدى بمسحوق نبتة الحناء فظلتا حمراوين لمدة اسبوع؟.. أريد أن أزين يدى مرة أخرى.

- لاشك أن تلك المرأة رحلت، أما تلك العادة فلا أظن أن هناك من يمارسها الآن.

صمتت. قتل كل بارقة أمل فى الاستمتاع معها.

واصل فيليب وكاتيا سيرهما البطيء على الكورنيش، تتأوه السنين فى عمق عينيهما. سيرحلان بعد أيام، وربما لن يعودا ثانية. ولكن هذه الأرض ستذكر حتما عاشقين ضلا الطريق، وعادا إليها يستنشقان شذى الحنين بعد خمسين عاما.





لوحة للفنان: إسماعيل شموط



حد السيف

عمارة البرتقال..

ها هو بيتـها، اسـتقبلنى الشـذى فى المدخل، فتح المصـعد وجدت نفسى فى الطابق الثانى أمام الشقة الثانية.

أطلت من خلف البـاب.. احـتـضنتنى.. عـرش صـوتهـا الشامى مثل شجيرة ياسمين دمشقية:

ـ ما أسعدنى بقدومك..

أخذت بيدى وهى تقودنى إلى غرفة الاستقبال.

ـ أنت فـقط تطرقين باب وحـدتى.. عندمـا تجيـئين تُورق أغصانى.

ـ إن حقولك مزهرة على الدوام يا صديقتى.

أطلقت آهة مقتضبة ثم استوت واقفة وهى تقول:

ـ سأعد لك الشاى.

رافقتـها إلى المطبخ، جعلت أنسّق باقة فل مـوضوعة على الطاولة، نظرت إليّ، لمع بريق طفولى فى عينيها وقالت:



ـ تبـدين رائعـة فى هذا الفسـتـان. إن تصميمه هندى، من أين اشتريته؟

ـ بل إنه فـستـان تونسى، أمى هى التى صممته، هل تريدين واحدا مثله؟

- لا إنه لا يناسبنى، هذا الفستان تلبسه شابة فى مثل عمرك.

صمتت قليلا وجعلت تخلل أصابعها فى شعرها الأشيب الذى ترفض أن تخفيه تحت الأصباغ.

ثمة خراب ما يتراكم تحت جفونها.

- أخشى أن يمر العمر دون أن أغسل وجهى بماء الوطن إننى أعيش على أمل العودة، ولا أخفى عليك أن هذا الأمل يستحيل سرابا يوما بعد آخر.

استرسلت فى حديث هامس كأنها تكلم نفسها.

انتشلتها من شجنها الهامس عندما فتحت حقيبتى وأخرجت منها كتاب: «لماذا تركت الحصان وحيدا»؟ رفعته أمام وجهها فجأة، لقفته بلهفة من يدى وهى تصرخ:

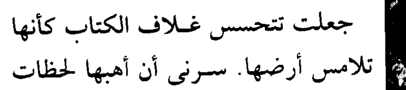
- الديوان الجديد لمحمود درويش.

- إنه هديتى لك.



- شكرا.. ما أروعها من هدية.. كأنك جئتنى بمدينتى حيفا.

جعلت تتحسس غلاف الكتاب كأنها تلامس أرضها. سرنى أن أهبها لحظات



سعادة ولو مؤقتة.

❖ ❖ ❖ ❖

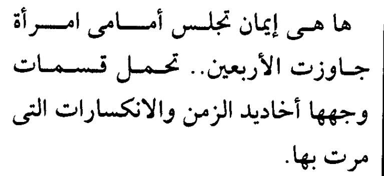
«زعمة يصافى الدهر يا مشكايا ونعود نضحك بعد طول بكايا»

مع فنجانى الشاى لابد أن يحضر صوت صليحة كما هى العادة دائما لاسيما هذه الأغنية التى تعشقها إيمان عشقا لا يوصف ودوما تثير رغبتها فى البكاء. هى التى تريد هدنة من الدهر تضحك فيها ضحكة صافية.

ـ بالأمس كنت فى عيادة الطبيب، قلبى لم يعد يحتمل. أمرنى بالانقطاع عن مشاهدة الأخبار.. لكننى لا أستطيع. لم أعد قادرة على النوم إلا بعد تناول الحبوب المهدئة. الأرق يغتالنى.

مضت كعادتها تسرد هذه الأخبار التى حفظتها من كثرة ما أعادتها على مسامعى.





ها هى إيمان تجلس أمامى امرأة جاوزت الأربعين.. تحمل قسمات وجهها أخاديد الزمن والانكسارات التى مرت بها.

- البارحة طنت أذنى كثيرا وعندما نمت حلمت أننى أقف بجوار تلة خضراء، لكن فجأة اشتعلت فيها النيران وكنت أصرخ ولا من مجيب، وعندما مددت يدى لأنقذ منها ولو غصنا أخضر احترقت أناملى فهل تكون هذه.. تصمت ثم تضيف.. هل يكون هذا نذير شؤم برحيل جديد لأحد أشقائى؟ تدخل حالة شعورية سوداوية تحمل صورة شقيقها الشهيد سيف الدين.. تضمها إلى صدرها ولا أملك إلا أن أربت على كتفيها برفق وتنتابنى ذات الحالة الشعورية.

صورة توقف عندها الزمن؛ سيف الدين بملامح طفولية يضع الكوفية الفلسطينية على رأسه ويرسم علامة النصر، إنه يملأ حقيبته بالأمنيات، يترك خلفه حفنة دموع وينأى.

هذه صورة مزروعة فى كل مكان من شقة إيمان.. فى غرفة النوم وفى البهو وفى الممر وعلى كل الجدران.

- إن روح سيف ترفرف على المكان.. أليس كذلك؟



- بلى - أجبتها - إن فى أعماق كل واحد منا سيفا مسلولا، لكن طريقة تصويبه تختلف.

ـ بل إننا نمشى على حد السيف ولا ندرى متى ينتهى هذا الدرب، أقدامنا وقلوبنا مدماة، لكن لابد من مواصلة السير.

صمتت قليلا ثم سألتني بسذاجة من يبحث عن خيط أمل في بحر سراب:

ـ هل يمكن أن نعود؟

هناك أسئلة لا نقـدر أن نجيب عنها، بل إن مجرد الـتفكير فيها يجعل أفئدتنا تقطر دما

قلت بثقـة كاذبة:– حتـما ستـعودون، «خبـرنى العندليب غداة التقينا على منحنى» والعنادل دوما تصدق.

ابتسمت..

أردت أن أقلب دفــة الحــديث فطلـبت منهــا أن تفــتح التليفزيون، ضغت على الزر، تجـولت بين القنوات المتشابهة ثم وقفت عند إحدى المحطات التـى كانت تبث أغنية بدوية شـجيـة مع رقص لنساء يرتدين الثـوب الفلسطينى. قـالت فجـأة كأنهـا تذكرت شيئا مهما:



ـ قفطانى الفلسطينى الذى احتفظت به منذ عقود اكتشفت أنه بدأ يتآكل تلقائيا،

وإذا ضاع منى لا أظن أنى أستطيع تعـويضه، إنه آخر ما بقى لى من «ريحة البلاد» كما تقولون فى تونس.

صمتت، أطبق الحزن علينا من الجهات الست.

ـ نسيـت أن أخبرك أن شـقيـقى نجم الدين اتصل من براغ وأخبرنى أنه سيأتى لقضاء عطلته هنا.

هتفت:

ـ رائع.. لماذا لم تخبرينى من البدء، أنا سعيدة من أجلك-

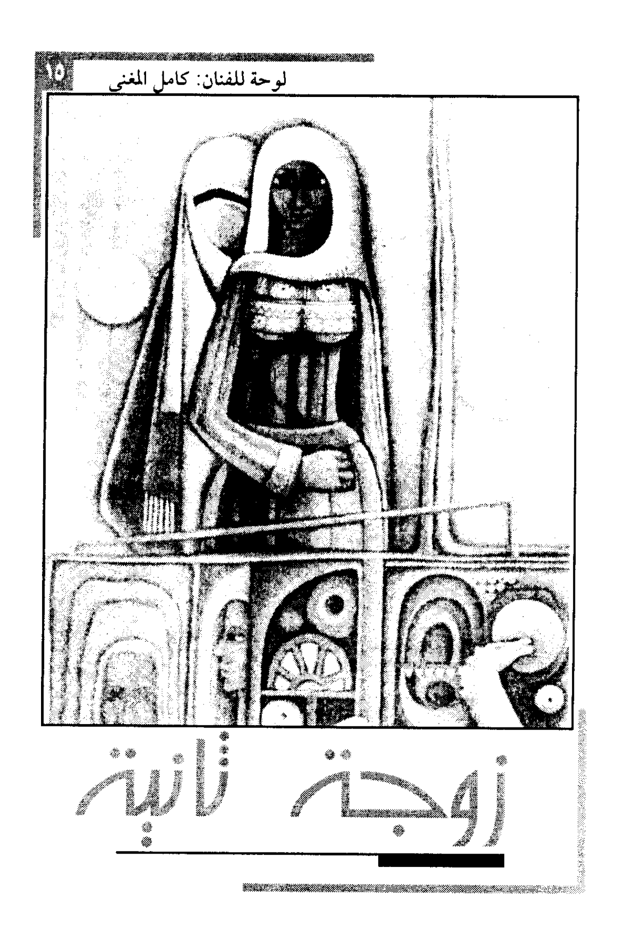
قاطعتنى وكأنها لم تستمع لما قلت:

ـ مشردون نحن على خمـس قارات.. فهل هناك أشد من هذا الشـتــات!.. أخـشى أن تضـيع خـطانا بين الثنايا والدروب.





لوحة للفنان: كامل المغنى



زوجة ثانية

اللغـة خيـوط حرير لا تعـرف النفاد، يحـيكها فـتتـداخل الأزمنة والعصور دونمـا بداية، وتتشكل تلك الحكايات التى يرويها ولا أملّ سماعها.

وحدها حـكاية العرج الذى يشكو منه ظلت سـرا يؤرقنى كلما أقـبل جدى بقامـته الفارعـة المهيبـة وشاربيه الأشـيبين مـحـمــلا بالعطور والحلوى، وكـــان يتكىء عـلى عكازه الخيزرانى. ويجر سـاقه اليمنى مبتسمـا كالعادة رغم تشكيه من ألم مزمن فى ركبتيه.



حـتى جاء يـوم، كان المطر يهـمى خلف زجـاج النافـذة، وضعت أمى الـقهوة المعـتّقـة وطبق الفواكه، هجـمت علىّ رائحة عتيقة عندما انسابت الكلمات مرتعشة من بين شفتيه، وطفقت أصابعه تمر مرتعدة على يدى.





كان ذلك زمن الفتوة يا ابنتى.. كان الجميع يشهـد بشجـاعتى ووسـامتى وكانـت جدتك

امرأة طيبة ومنكسرة أنجبت لى سبعة أولاد وثلاث بنات وكبرت قبل الأوان؛ فقال أشقائى: كيف يقنع رجل مثلك بزوجة واحدة؟ هل سحرتك تلك اللئيمة؟ لماذا لا تأتيها بضرة أجمل وأصغر.. ألحوا علىّ حتى اقتنعت.

وفى الليلة الموعودة كنت أعد نفسى للزواج للمرة الثانية من فتاة عمرها ستة عشر ربيعا رائعة الحسن.

وقد عقدت العزم على أن أخرج صباحا لأقتنى لها لوازم الزفاف، كانت سعادة لا توصف، وعندما قدمت لى جدتك العشاء بدت منكسرة أكثر من العادة، فنهرتها حتى لا تنغص علىّ فرحتى، لمحت دموعا فى عينيها وهى تتجه إلى الغرفة الأخرى لكننى لم أكترث ونمت وفى أذنى صوت نحيبها، قلت فى نفسى ستتعود على الزوجة الثانية وستألفها مثل كل الزوجات.





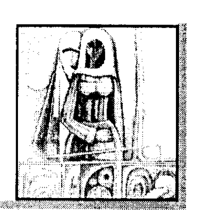
استيقظت فجرا على صهيل حصان يركبه فارس ملثم يحمل بندقية، وقف قاب قوسين أو أدنى من فراشى

فارتعشت ذعرا لكنه صرخ فى وجهى..

ـ هكذا إذن قـررت الزواج.. وتلك المسكينـة هل فكرت فيها؟ لقد جئـت أهنئك وهذه هديتى إليك- صوّب بندقيته نحـو ساقى وأطلق النار. صـرخت من الألم، وعندها فـقط اكـتشـفت أنه كابوس فظـيع.. جاءت جـدتك مهـرولة من الغرفـة المجاورة وبدا أنهـا لم تنم ليلتها. سـقتنى كـوب ماء وراحت تبسمل وتحمدل. وفى الصباح جاء أشقائى يجرون أذيالهم جـرا، أحـسست أنهم يحـملون خـبـرا ما وقـبل أن أعلمهم بما حدث البارحة فاجأونى قائلين:

ـ لقـد حـدث أمر جلـل ألم تستـمع إلى الإذاعـة؟! لقـد قرروا منع تعدد الزوجات.





لوحة للفنان: ادوارد مونشي



ضفيرة مهزومة

ـ أى تسريحة تريدين؟

تسكعت عيناها على الجدران متأملة صور الحسناوات ثم أشارت إلى واحدة منعكسة على المرآة.

ـ تريدينه قصيرا إلى هذا الحد؟

تساءلت الحلاقة باستغراب وهى تلتهم شعرها الطويل اللاهث خلفها، من أجله ربيت شعرى زمنا من أجل أن يجد وسادة حريرية ينام عليها.

كان يسأل باستغراب كلما فكرت أن أغيرّ تسريحتى؛ كيف تتنازل الأميرة عن تاجها؟ والآن، ما جدوى كل ذلك؟

عادت الحلاقة إلى تساؤلها:

ـ هل أنت مصممة؟

ـ نعم، قالتها بصرامة.

راح المقص يعبث بالجدائل التى سكنها الغجر فتتهاوى واحدة تلو أخرى كأشجار حور هزمتها الرياح.





لوحة للفنان: محمد عزام



فرح

فرح ترقب صورتها، إنها تداعب شعرها وتبتسم للمرآة. أصبحت أطول الآن تصعد فوق الكرسيّ وتضغط على أزرار الحاسوب، تقلّد جلسة والدها حينا وجلستي أحيانا. تنتشي للصور والألوان والموسيقى التي ينثرها التليفزيون.

كم ستكون جميلة في الفستان الأبيض الموشى بالزهري والوردي، هل ستكون عروسا أم ملاكا صغيرا بجناحين أبيضين؟

ها أنا أعدّ حلويات عيد ميلادها، وها هي تمرح بجواري تلقي بنفسها فجأة بين أحضاني، تفتح أزرار قميصي تتحسس ثديي كأنها تريد أن تعود إلى الرضاعة بعد عامين من الفطام، تشم رائحتي كأنها تتذكر رائحة الحليب الذي كانت ترتوي منه ثم تنتشي ضاحكة.

تفتح ذراعيها مغتبطة بخطواتها وكلماتها، إنها تتذوق جمال الوجود.

تناديني : ماما ماما.



أجيبها: نعم يا حبيبتي.

لكنها لا تريد شيئا معينا، حسبها أن تناديني ثم تعود إلى لهوها.

تفرّ دمعة من عينيّ وأخفيها، أخرج

الشمـوع الثلاث الورديـة وأعد كعكة الـعيد، يطـرق الأطفال البـاب هازجين محـمّلين بالهدايا والضـحكات.. يغدو بيـتى كون فرح، يخـتلط مرح الأطفال وصخبـهم بالإيقاع واللون. يغلّفنى السـواد من الداخل، وحدى أكـابد دمعة تـريد أن تفرّ منى.

بيد مـرتجفـة أشعل شمـوع عمرها الثـلاث، أفتح شـفتى لأغنى لها "عام سعيد يا فرح".. لكن صوتى يضيع ويتلاشى وسط أصـوات الأطفال، تغـمرنـى غربة داخليـة وسط هذا الفرح البـاذخ. تطفىء فرح شـموعـها بمشاركـة أصدقـائها الصـغار.. أروم الفـرحـة مثلهم لكـنى لا أريد للشمـوع أن تنطفىء، لا أحب هذه الظلمـة التى تطبق علىّ.. لا أريد أن تعبر فرح إلى سنة جديدة من عمرها.

يغـمرها الأطفـال بالقـبـلات والهدايا، تهنـئنى الأمهـات وتقول إحداهن:



ـ بعـد أعوام قليلة سـتذهب فـرح إلى المدرسة.

لا.. لا أريد ذلك، سـيـصبح عـمـرها ست سنوات وأنا لا أريد ذلك.

❖ ❖ ❖ ❖

بعد الاحتفال أويت إلى غرفتى محطمة، لم أرغب فى أن ترنى فرح، لكننى سمعت حفيف ثوبها وراء الباب فأغمضت عينىّ وولّيت وجهى صوب الحائط، دخلت متسللة وجعلت تداعب شعرى فتظاهرت بالنوم، لكنها شرعت تقبلنى وتعبث بأطراف أناملى. عُصر قلبى عصرا وأنا أشعر بقطرات الحنان التى تسكبها علىّ فى عفوية طفولية وعبث برىء.

❖ ❖ ❖ ❖

ها هى الزنبقة التى سقيتها بدمى تنمو وتكبر.. يتورد خداها، ها هى تستقبل عاما جديدا وفؤادها يعج بالحبور. عقلها الصغير يضج بالدهشة إلى كشف أسرار تبدو لها ملغزة. تفتح أوراقها للنور والهواء وتتوق إلى شىء ما.



لكننى أرى شوكا يطوّقها ولا تراه.

هل ستنطفىء هذه الابتسامة المتألقة على حين غفلة؟

❖ ❖ ❖ ❖

تتناثر الأيام كـأوراق خـريفـيـة عـابرة. تمر السنون، تنمـو الثمرة ويحين قطفـها. ها هى فرح تستعـد لدخول المدرسة، تسـألنى أسئـلة كثيـرة عن العام الجـديد الذى تتطلع إليـه، لكننى أعـرف أنها عـما قـريب ستلجُ عـالما آخر مـجهـولا، مخيفا لا أسـتطيع أن أحدثها عنه. أختلق بعض الحكايا التى لا تصدقهـا، ألمح فى عينيها تساؤلا عن الغيـوم التى تتخايل على وجهى. هى لا تفهم سر كآبتى ووجومى الذى عجزت عن إخفائه منذ أن بدأ الموعد يقترب.

❖ ❖ ❖ ❖

هذه الكآبة جلّلت أيامى منذ قال طبيـبها وأنا ما أزال على فراش النفـاس، وهى قد فتـحت عينيهـا على النور للتو: - يؤسفنى سيدتى أن أخبرك أنها لن تعيش طويلا، لقد ولدت مريضة ..سترحل فى سن السادسة.



لوحة للفنان: جمال غربية



أكذوبة أو غريزة أساسية

ها هى السيارة الصـغيرة الحمراء تسرع فى اتجـاه ضاحية قمرت، كان جالسا إلى المقود وعيناه على الطريق الذى بدأ يودع آخر خـيوط الشـمس، بينما كانـت تجلس إلى جواره صـامتـة وقـد أخفت عـينيـها تحت نـظارات سوداء قـاتمة. وجعلت تتحسس خاتم الزواج فى بنصر يدها اليسرى.

هذه الطريق خبرتها جيدا.

أوقف السيارة.. التفت إليها وقال: تفضلى.

نزلا متـرافقين وتوجـها إلى الركن الذى تعـودا الجلوس فيه.

هناك يتسنى لهما مراقبة البحر وهو يستقبل صديقه الليل ويبدآن حوارا لا متناهيا.

كـانت عـيناه منكسـرتين وهو يـنظر إلى الأسـفل بينمـا انشغلت هى بالعبث بغطاء الطاولة.



جاء النادل وسـألهما عن الوجـبة التى يريدان تناولها. لم تقل شيـئا، بينما قطع هو فترة صمته وأجابه:

-ما رأيك لو تختار لنا أطباقا على ذوقك.

ابتسم النادل مستغربا ومضى.

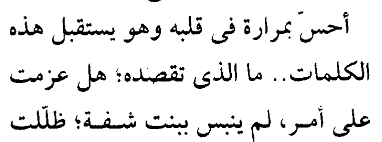
حاول ألا ينظر إلى عينيها وقال:

-كل عام وأنتِ بخير. وضع يده على يدها فبدت ثقيلة وباردة.

هل حقا تزوجت ؛ وهل مرّ على زواجها أربعة أعوام. كيف صمدت طوال هذه المدة(!) أحست أن جبل قمرت بثقله وغاباته يجثم على صدرها. نظرت إليه ولم تقل شيئا. كان من المفترض أن تقول له كل عام وحبّنا بخير. أو كل عام ونحن حبيبان. أو ليدم حبنا أو لنشرب نخب هذا الحب. لكن هذه العبارات لا تؤدي المعنى الذي تحّسه.

رفعت رأسها ونظرت إليه نظرة جامدة: أريد هدية بمناسبة عيد زواجنا الرابع.





أحسّ بمرارة في قلبه وهو يستقبل هذه الكلمات.. ما الذي تقصده؛ هل عزمت على أمر، لم ينبس ببنت شفة؛ ظلّلت

كآبة رمادية جلستهما.

ـ أرجو أن نحل الرباط الذى بيننا.

ـ نفترق..

أجابها دون أن تحمل تقاسيم وجهه أى معنى، وأضاف:

ـ لقد كنت أنتظر هذا منك.



وضعت حقيبتها الجلدية الكبيرة على أرضية البهو لاهثة:

ـ خير إن شاء الله يا ابنتى.. ما هذا الشحوب الذى يعلو وجهك ولماذا هذه الحقيبة الكبيرة. هل تخاصمت مع زوجك؟

ـ لا.. إطلاقا.

ـ ماذا حدث إذاً؟

ـ لقد طلقنى، بل لقد طلّق كلانا الآخر.



صرخت أمها:

ـ ماذا؟

ـ نعم هذا ما حدث.

ـ كيف فـعل الغبىّ ذلك، ألم تـكونا سعيـدين طوال هذه السنين، ما الذى جدّ؟

ـ لا تظلميه يا أمى، أنا من طلب الطلاق.

قبل أن تكمل كلماتها ألقت بنفـسها على صدر والدتها وتعالى نحيبها. كان صوتها متقطعا وهى تقول:

ـ زواجى أكـذوبة، قــوقـعـة لبـثت داخلـهـا طوال أربع سنوات، إننى أتأهب للانعـتاق، هل تصـدقين أن جـسدى مكبل.





لوحة للفنان: إبراهيم الدسوقى



وردة نائمة

مدت يدها إلى المكتبة. بحثت عن روايتها المفضّلة.
الكتاب الذى استعارته منه ولم ترجعه.
نفضت عنه الغبار. فتحته على الصفحة الأولى حيث ترقد وردة عمرها أعوام.. يومها قال أستاذها: «أراكِ تضعين وردة حمراء داخل الكتاب، هل أنت عاشقة؟».. غطت وجهها بيديها الناعمتين ونظرت إلى الأسفل».
استفاقت الوردة وتجمعت وريقاتها الجافة، عرّشت على الورق واحمرت وجنتاها.. مدت يدها إليها وقطفتها.





لوحة للفنان: جميل شفيق



السرير الأبيض

كنت أدرك جيدا أنها النهاية. بياض الجدران والأغطية والوجوه التى تفد علىّ دونما ملامح. تمر الساعات والأيام بطيئة فتضغط على أعصابى.

وأنا على فراش الموت تذكرت تلاميذى الذين خلّفتهم وراء البحر. لاشك أنهم يذرفون الدمع ولا ينقطعون عن الصلاة من أجل أن أعود إليهم.

لكننى لن أعود.. إننى أقف على الباب المجهول، سألجُ مدينة معتمة بين الفينة والأخرى. لا أعرف مجاهلها ولا ثناياها ولا دهاليزها. شعور قاسٍ يكتم أنفاسى، الأسئلة تنزل على دماغى كالمطارق فيتفتت كل شىء حولى ويغدو تافها. هذا الصباح قررت أن أغادر سريرى الأبيض، سألت الطبيب:

ـ ألا يطلب المحكوم عليه بالإعدام تحقيق أمنياته قبل الموت.

ابتسم ابتسامة صفراء وقال:

ـ بلى.

قلت:

ـ إذن أريد النزول إلى الحديقة، منذ زمن لم أر الخضرة والماء.

ظلت الابتسامة عالقة على وجهه الغائم وأومأ برأسه بعلامة القبول.

❖ ❖ ❖ ❖

تعثر وهو يحاول المشى كطفل غادر مهده للتوّ، اشتد الحماس فى نفسه وهو يلمح الخضرة والأشجار الباسقة. داعب النسيم العليل وجهه فتهاوى على أقرب كرسىّ، غسل رئتيه اللتين تعفنتا من كثرة الأدوية.

استقبلت عيناه الخضرة فزادتها توهجا. نسى فى لحظة أنه هنا فى أحد مستشفيات فرنسا للتداوى من مرض خبيث أجمع الأطباء على أنه حالة ميئوس منها.

بدأ جسده يستعيد لياقته وإحساسه بالألوان والروائح



والأطياف التى افتقدها فى فترة مرضه. بدأت الحياة تدبّ فيه من جديد. لكنّ حواسه المتوثبة توقفت فى لحظة إنتشاء قصوى لحظة توهج لا تحدث فى العمر

إلا مرة واحـدة. تتوقف عيناه عند فتـاة ضامرة يعلو وجهـها شحـوب تلتـحف البيـاض وعيناها تسـبحـان فى الملكوت. تأمّلها طويلا دون أن تشعـر بوجوده. لاشك أنها تشكو هى الأخرى من مرض ما فلباسها وسهومها يشيران بذلك.

اقترب منها، استجمع جرأته، خـاطبها بلهجة أليفة ودودة محاولا كسر كل الحواجز دفعة واحدة.

ـ صباح الخير.. كيف أصبحت اليوم؟

ـ لست على ما يرام.

قالتها بلا مبالاة.

ـ لكننى أراكِ بخير.

استدارت نحوه وكأنها أحـست لحظتها فحسب بوجوده، حدّقت فـيه طويلا، عيناه منكسـرتان تشعان بالذعـر، التقت نظراتهما طويلا وحّد بينهما الخوف المجهول..



قالت: أنا وحيدة ومريضة.

قال: أنا خائف وأنتظر الموت.

قـالا بـصـوت واحــد: لنتـعـكز على بعضنا.

وفى غمرة هذا الجو الغائم، انفجرا ضاحكين ضحكة هستيرية تقطعها نوبات السعال، ثم تشابكت أيديهما وقاما بصعوبة وجعلا يطوفان بأرجاء الحديقة.



باتت هذه النزهة قدرا يوميا، موعدا اتفقا ألا يخلفه أحدهما مهما حدث حتى يأتى الموت. قالت له ذات صباح:

-أمازلت تخشى المجهول؟

أجابها:

-بعد جرعة الحب التى أنعشت قلبى وجسدى لا بأس إن مت الآن.

سرت الدماء من جديد فى الجسدين الشابين اللذين أنهكهما المرض وكانت دهشة الطبيب وهو يفحص المريضين ويكشف أن الخلايا السرطانية قد اختفت كليا من جسديهما وأنهما تعافا.

ـ ما الذى حدث.. ما الذى أحيا هذين

الجسدين وأشاع فيهما الروح بعد أن أقرت التقارير الطبية موتهما الجزئى؟!!

تساءل الطبيب قائلا:

-لقد فشلت الأدوية فى شفائكما فما الذى حصل؟

ـ لقد شربنا من إكسير الحياة.

وأمام الجسدين الفتيين والأحلام المتألقة فى العيون، سأل الطبيب مريضيه: وبماذا تحلمان الآن بعد أن عادت إليكما الحياة؟

-نحلم بأن يضمنا سرير لا يكون أبيض.





لوحة للفنانة: جاذبية سرى



خلوة

العيـون الصغـيرة المكتظة بالـدهشة تتـأمل الجبين المتـغضن والخطوط العـريضـة التـى تعلوه، تخـتـرق الشـعـر الأشـيب وأكداس الشحوم التى تعلو الجـسم العجوز، فى حين تنصت الأذن المتعطشة إلى عوالم غريبة بانتباه شديد.

هكذا هو؛ فـارس يهـجـر أعاجـيب الكمـبـيـوتر وبرامج الصور المتـحركة ويأوى إلى الوجه الآمن من جـدته جزلان ويصغى إلى صـوتها العمـيق ودندنتها الحنـونة عندما يضع رأسـه على صـدرها يحلم بزمن عـجيـب يسافـر إليـه على أجنحـة بساط سـحرى يحط رحـاله هناك، زمن وديع يتنقل فـيـه الناس على الدواب ويعـيـشـون على الـقليل من الزاد ويتحلقون ليلا حول لهب النار طلبا للدفء والأمان.

يود فارس لو يستقر فى ذاك الزمن ويرى جدته شابة.



تغضب الأم أحـيانا من فارس الذى يهـجر ألعابه وكتبه المدرسية ويقضى وقته مع الجدة.

ذات يـوم قـــالت لـه: إذا لم تـكف عـن التصاقك بالجدة فإننى سـأعاقبك وسأحرمك من الفسحة الأسبوعية.

لكنه قال لها: لقد مللت الفسحة الأسبوعية

إلى حديقة الحيوان ومدينة الملاهى، إننى أروم السفر إلى زمن جدتى.

صرخت الأم: لا فائدة من عنادك، سيتقدم عليك كل أقرانك.

فارس لا يفارق جدته أبدا إلا فى خلوتها الليلية حيث تأوى إلى غرفتها وترتدى ثوبها الأبيض الطويل وتنقطع لمناجاة ربها، فى حين يجلس فارس فى غرفته الصغيرة متفكرا فى هذا المخزن العجيب، من أين تأتى بهذه الحكايات والأساطير وهكذا لا يستقر مع جدته فى ذاك الزمان.

تأخذه الأسئلة إلى أن يداعب النعاس جفنيه.

فارس يتحرق شوقا لمعرفة طقوس جدته فى خلوتها الليلية ولماذا ترتبط المناجاة بالوحدة، لاشك أنها لحظة تعادل العمر، تختزن تلك الغرفة عوالم مفعمة بالشوق إلى الأعالى.



تخفت الأضواء.. يأوي الأبوان إلى غرفتهما ويفتح الصغير فارس باب غرفته يمشى على أطراف أصابعه ويحبس أنفاسه

حتى لا يوقظ أحدا.

يقترب من غرفة جدته يضع يده على الجدران وعيناه على عتبة الباب.

داخل الغرفة الجدة ترتدى ثيابا ناصعة البياض تقف وسط الغرفة ترفع يديها إلى السماء ثم تسجد على الأرض لحظة توهج، تبكى وتتعالى همهمتها، ثم تجثو على ركبتيها تستدير نحو الفراش.. تدنو من الكوميدينو حيث وضعت صورة زوجها الراحل؛ تمد يدها بحنان إليه.

تغسل الصورة بدمعها.

يلمح فارس نورا عجيبا يضىء الغرفة، تتلألأ ألوان عديدة تخطف البصر، يضع فارس يديه على عينيه من شدة الانبهار وعندما يفتحهما يكتشف عالما غريبا؛ جدته العجوز استعادت نضارتها ورشاقتها واختفى الشعر الأبيض تحت غلالة من السواد وسقطت الغضون وتوهج المحيا.

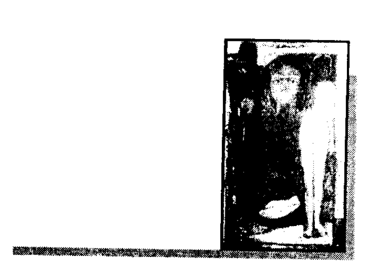


الجدة العجوز فى العشرين والصورة التى كانت بين يديها والتى تجسد الجد الراحل تكبر الآن.. تكبر ويسقط إطارها ويرى

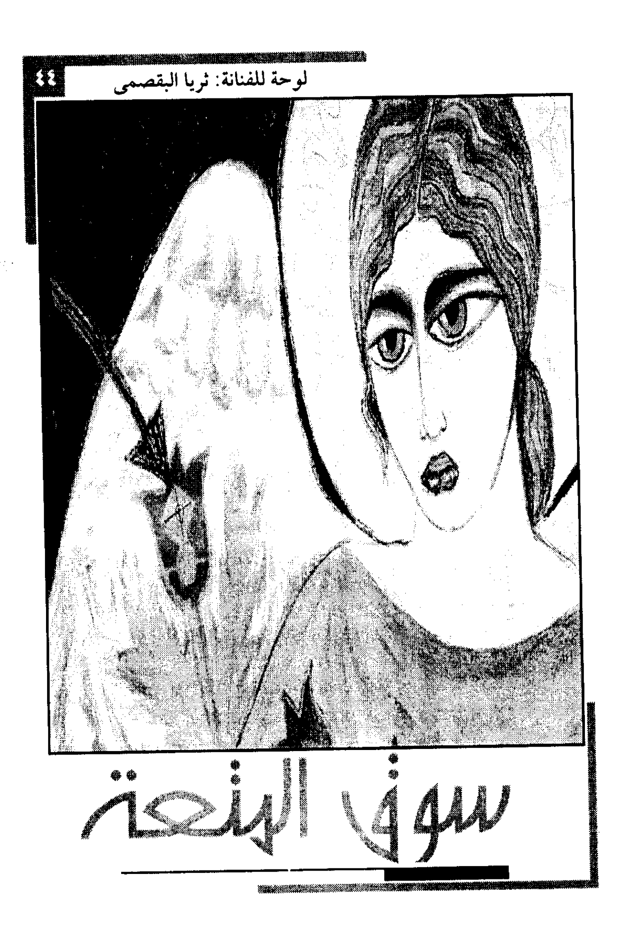
فـارس شابا فـى العشـرين يجلس على السـرير إلى جـوار جدته ويقبل يديها وشفتيها ورقبتها، فارس يكتم أنفاسه ولا يصـدق ما يرى، يلتـحم الجسـدان ويتكوران على السـرير، ويسمع فارس أصواتا غريبة وضحكات لم يعهدها وتساقط ثياب على حافة السرير.

لا يفـقـه فـارس شيـئـا مما يرى ويشـعـر بدوار فى رأسـه فـيصـرخ بأعلى صـوته :أمى.. أمى.. وعلى صـراخه الحـاد تسقط الصورة من يدى الجدة وتتناثر شظايا البلور.





لوحة للفنانة: ثريا البقصمى



سوق المتعة

دقّ الجرس؛ انفتح الباب الخارجى آليـا وجدت نفسها فى حديقـة، تصطف على جانبى الممر أصص الزهور وأشـجار الزينة ونافـورة الماء تحت موسيـقى ناعمـة تثيـر فى هذا الجو رومانسية فائقة، تقدمت بخطوات بطيئة فى هذا الممر متجهة إلى الفيللا التى بنيت على الطراز المعمارى الشرقى القديم.

لم تزل تتـأمل هذه الحـديقة والفـيللا الفـخـمة عندمـا خرجت فتاة شـقراء ترتدى قميصا قصـيرا يكشف بطنها وسروالا رياضيا من اللون الأزرق.

احتضنتها بـابتسامة عريضة ودعتها إلى الـدخول فتوقفت لحظة، وهى تقول:

-لقـد قرأت إعـلانا فى الجـريدة عن هذا المعـهد المخـتص فى التجـميل. اتسعت ابتـسامة الفـتاة وهى تدعوها إلى الدخـول مرة أخرى، وجدت نفسها فى صالون فـاخر تنبعث العطور الباريسية من جنباته بينمـا تزين الثريات السقف، دعـتها الفـتاة إلى الجلوس وقبـل أن تستـفيق من الدهشـة التى غمـرتها سـمعت وقـع أقدام



خلفهـا فالتـقت عيناها بعينى سـيدة أنيـقة ترتدى تايورا من الحـرير البنفـسجى وتحلى جـيـدها ومعصميها بجواهر ثمينة صافحتها وهى تقول:

ـ أنت جميلة وعيناك لا تخلوان من ذكاء.

وجد هذا الإطراء هوى فى نفسها ؛ فجعلت تشرح لها:

-لقد فهمت من الإعلان أن هناك خبراء تجميل أكفاء فى هذا المعـهد.. وأنا أشكو من بشـرة حسـاسة جـدا وتؤرقنى البثور التى على وجهى.

ربتت السيدة على وجنتيها وقالت:

-لا تقلقى نحن نبـيع الجمال، هل تريدين بشـرة مادونا أم نهدىّ باميلا أندرسون أم شفتىّ سيدنى كراوفورد؟

اتسعت خطوط الدهشة على محيّا الفتاة وهى تهتف: -بكم؟

ضحكت السيدة الأنيقة وهى تقول:

-يمكنك أن تصـبحـى مثل نجـمة عـالمية إذا واظبت على المجىء إلى هنا، عادت الفتاة إلى السؤال؛

-بكم؟

حدقت السيدة وقالت: مجانا.

أعادت الفتاة كلمة مجانا مرارا فقاطعتها السيدة قائلة:



-نعم لقـد أردت أن يكون الجـمـال لكل النساء دونما ثمن.

عصفت الحيرة بالفتاة وهى تقول:

- كيف يحدث هذا؟

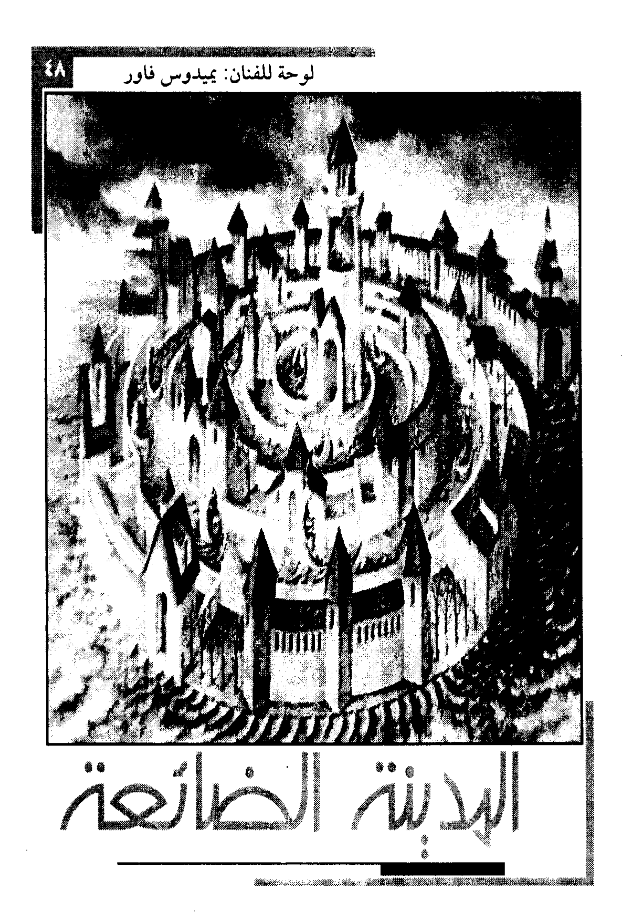
- إنه يتوقف على ثقتك بنا.. ابتسمت ثم أشارت إليها قائلة: تعالى معى..

رقص فى مخيلتها عديد من الصور وهى تصعد السلم محاذية السيدة بأنها نجمة سينما وأن قدميها تطئان السجاد الأحمر وهى تتلألأ كجوهرة ثمينة تحت أضواء الكاميرا، ويتعالى التصفيق من كل صوب وحدب، تذوقت متعة المجد فى لحظة، تمنت لو يتوقف الزمن عند هذه النشوة التى قذفتها المرأة فى مخيلتها، دخلت إلى قاعة التجميل وبعد حمام البخار استلقت على أريكة وجعلت الأيادى الناعمة ترطب جسدها ووجهها بأفخر أنواع الكريمات، بعد جلسة الاسترخاء التى نفضت عنها غبار التوتر، نهضت من مكانها أحست بنفسها فراشة تحلق فى مدى من الألوان والأنغام، وقفت أمام المرآة تتأمل صورتها الجديدة؛ بشرتها الناعمة ونضارتها وتوهج عينيها.. أى سوق هذه التى تبيع متعة الخيال دونما ثمن(!) لكنها فوجئت بيد تسحب المرآة منها، إنه رئيسها فى العمل يصرخ قائلا:

ما هذا الشرود ألا تشبعين من النظر فى المرآة!



❖ ❖ ❖ ❖



لوحة للفنان: يميدوس فاور

المدينة الضائعة

طفل يرتدى جلبابا عتيقا، يحمل تحت إبطه قاموسا مهترئة أحرفه، يدخل مدينة يجللها السواد، يطرق أحد أبوابها السبعة، يفتح الباب بتثاقل، يعبر الأزقة المتربة فلا يلتفت إليه أحد، يأتى الليل قبل الأوان، يحتمى الطفل بمسجد عتيق ينضم إلى زمرة المصلين، لكنه يعبر من بين أيديهم دون أن يشعروا به وكأن بينه وبينهم سدا منيعا، يقترب من المحراب، يجلس قرب المنبر، يمد يديه إلى الإمام فيرميه بحفنة من دعاء لا يفقه معنا، يغادر المسجد حزينا وجائعا، ينام على الرصيف.

صباحا يغادر المدينة السوداء.. قدماه متعبتان.

يدخل مدينة أخرى مشرعة الأبواب يعبث الريح فى كل زواياها، تحيطها الزرقة من الجهات الست.

يزغرد الفرح فى عيون أهلها.

يجلس تحت شرفة، تقذفه امرأة بحبة برتقال ونظرة شبقة من نافذتها، يلتهم النظرة ويلقى حبة البرتقال.



فى المساء يجلس أمام ملهى ليلى يصغى إلى الصخب والموسيقى، لكنه لا يفقه شيئا من الكلمات الملقاة.

صباحا يغـادر المدينة اللاهية، يدخل مدينة ذات أسوار وقـلاع وحـصون يستـوقـفـه الحـراس، يفتـشـون ثيـابه يتشممون رائحة عرقه اللزج. يبحثون داخل قاموسه عن كلمات وحدهم يعرفون معانيها.

يتركـونه يعبـر لكنهم يرسلون عـيونهم خلفـه، يقف على أضـرحة ومـعابد، الناس فى هذه المـدينة يتكلمون بصـوت مـرتفع يتـحـدثون كثـيـرا ويشـيـرون إلى الأصنام التى تملأ شوارعهم، لكن هذا الطفل لا يفقه لغتهم.

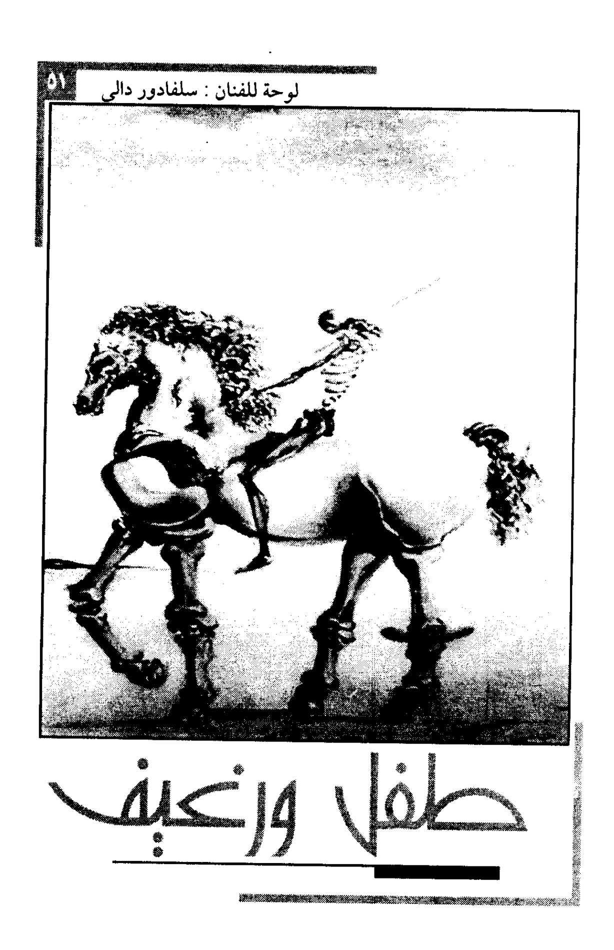
منذ خمـسين عاما وهذا الطفل يبـحث عن المدينة التى أضاعها وأضاعته.



❖ ❖ ❖ ❖



لوحة للفنان : سلفادور دالي



طفل ورغيف

لماذا تغيب خادمتنا اليوم بالذات؟ لماذا.. هل تروم عقابى؟ ولماذا يقفل عمى الطاهر محله هذا اليوم؟ هل حكم علىّ أن أذهب إلى أطراف المدينة لأشترى رغيف خبز وقارورة حليب فى هذا الصباح الحزين؟

وضع زياد يده فى جيبه ليتقى البرد فى هذا اليوم الشتائىْ وغادر حيه باحثا عن الخبز لأمه التى تغيبت خادمتها ولم تجد غيره لاقتناء الحاجيات الصباحية، كانت الشوارع مقفرة، وكل المحلات مقفلة، دارت أسئلة كثيرة بمخيلته، وود لو يصادف شخصا على أحد الأرصفة يسأله عما حدث فى المدينة هذا الصباح.. لم يكمل سيره حتى لمح أحد الدكاكين يقفل أسرع نحوه.

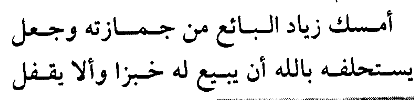
ـ أريد خبزا وحليبا يا عمى.

ـ ماذا تفعل هنا أيها الصبى؟



ـ أريد خبزا وحليبا لأمى أرجوك.

ـ لن يتمكن أحد من الحصول على الخبز بعد اليوم.



أمسك زياد البائع من جمازته وجعل يستحلفه بالله أن يبيع له خبزا وألا يقفل

المحل في وجهه.

استجاب البائع لإلحاح الطفل ومد له الرغيف دون أن يأخذ منه المال ثم أضاف بسرعة وهو يولج المفتاح في القفل
-هيا بسرعة عد إلى منزلكم.

أحس زياد بالخوف يعصر أمعاءه وهو يسمع صوت البائع المرتجف، وازداد اندهاشا للتحذير الغريب ولرفضه أخذ المال.

ماذا حدث يا ترى؟

قبل أن تنبس شفتاه بالسؤال سمع طلقا ناريا ارتجفت أوصاله واستند إلى عمود النور مرتعدا، سمع جلبة وأصواتا، ماذا يفعل الآن ابن الثامنة!!

كان الطلق الناري يرتبط في ذهنه بالحروب، والحرب كلمة لا معنى لها في سجله، يسمع والده أحيانا يتحدث عما يحدث في بعض البلدان المستعمرة لكنه يعيش في بلد مستقل ومدينة هادئة وجميلة، من أين تأتي الطلقات النارية إلى مدينته؛ هل خيل له؟



سيعبر شارع جان جوراس إلى شارع

باريس، جاءته الجلبة والأصوات من كل صوب وحدب وسمع صراخا وصياحا، كان أعوان الأمن مدججين بأسلحتهم ويركنون فى الشارع، وكانت الواجهات مهشمة.

متى حدث هذا وماذا..؟ صار زياد يصرخ دون أن يعى وانثالت دموعه.

سقط رغيف الخبز من يده اصطدم بإحدى الواجهات المهشمة، سال الدم من رأسه ورقبته.. انغمس الرغيف فى الدماء.

استفاق ليلا.. أحس رأسه مثقلة بالضمادات وجسده يرتعش، من الحى سمع والديه يتحدثان عما حدث اليوم فى المدينة وعن أسعار الخبز التى عادت إلى سالف عهدها بعد زيادة فجائية أدت إلى اضطرابات فى المدينة.





لوحة للفنان: عفت حسني



كوريدا

كم جياد امتطيت وسافرت بعيدا إلى مدن لم تطأها قدم، ثم ألقيت بها وكسرتها، اكتشفت أنها أحصنة من خشب وأننى نفخت فيها من جموحى حتى تطير وتحلق بى عاليا.

قال أبى وهو يستغرب إدمانى على ركوب الخيل:

ـ كنت أعتقد أن سقوطك من على صهوة جواد وأنت طفلة سيجعلك تكرهين الجياد إلى الأبد.

لكن ما حصل هو العكس.. مازلت أذكر تلك الحادثة؛ كنت فى العاشرة من عمرى وكنا نتردد فى نهاية كل أسبوع على ضيعة جدى الذى كان مغرما بتربية الخيول وقد حرص على تدريبى على الفروسية، وذات مرة تسللت خفية إلى الاسطبل وجعلت أقود الحصان حتى أوصلته إلى ربوة ومن ثم امتطيته لكنه جمح بى فجأة وألقى بى أرضا، ظلّت آثار الجرح على جبينى إلى اليوم ولم أعلن توبتى عن هذه الهواية.



❖ ❖ ❖ ❖

جالت هذه الخواطر البعيدة فى رأسى وأنا عائدة إلى البيت.

كـان أبى وأمى جالـسين فى غرفـة الاسـتقـبـال، ارتبكت خطواتى وأنا ألج المكان.. ألقيـت التحية ثم اتجـهت صوب غرفتى كان هناك إحساس بالذنب يحبسنى، لم يسألنى أحد عن سبب تأخرى لأننى غـالبا ما أظل فى عملى حـتى ساعة متأخرة.

ألقـيت حـقيـبـتى أرضا ثم جـلست على حافـة السـرير، جعلت أخلع ثيابى بعـد أن تخلصت من حذائى.. تمنيت أن ألقى بجـسدى من النافـذة علّنى أتخلص من القـرف الذى يعصف بى.

فتـحت زجاجـة طلاء الأظافر الأحـمر وألقيت بـها على المرآة فبـدت كأنها مغـسولة بالدم كم كان منظر الدماء يـثير أعصابى..

جلست أرضا ثم تناولت حـصانا خشبيـا وجعلت أفككه وأغمسه فى السائل الأحمر.



طرقت أمى الباب ثم دخلت جعلت تتأمل زجاجة "المانيكور" الملقاة والحمرة التى تغطى المرآة.

ثم صرخت بى:

-ماذا فعلت.

أجبتها بهدوء مصطنع:

-لقد قتلت الحصان.

خرجت وتركتنى أمارس جنونى -كما أحب- لم تسألنى كعادتها إذا كانت بى رغبة فى تناول العشاء.

❖ ❖ ❖ ❖

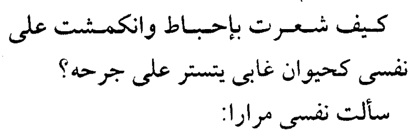
انتظرنا تلك اللحظة زمنا تآكلنا تحت وقع سياط الرغبة واحترقنا بنيران التوق. لكن كل ذلك تلاشى بمجرد أن التقينا وسقطت ورقة التوت.

لماذا استحال كل ذلك الحب إلى قرف؟

كانت أصابعه تشتعل حنانا بمجرد أن يضعها على يدى وكانت عيناه تتقدان شهوة كلما تسلقتا جسدى..

لا أدرى ماذا حدث اليوم؟





كيف شعرت بإحباط وانكمشت على نفسى كحيوان غابى يتستر على جرحه؟

سألت نفسى مرارا:

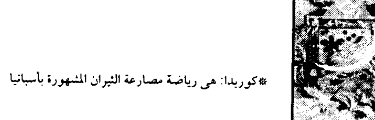
- هل تعصف الريح بالجنة أيضا، كنت

أتصور أن العرى لحظة يتـحد فيها جسـدانا وتتوحد الروح، لكننـى أخطأت التـقـدير وهـا أنا ذا.. قلبى رصـيف بارد موحل، لم أظفـر بالمتعـة التى طالما حلمت بأنها ستغـمرنى فــهل يكون الحب كـوريدا لابدّ فى نهــايتــهـا من قــتل «الحصان»؟

كان صنمى الذى صنعته عـلى شكل حصان لأننى أعشق الجمـوح ثم عبـدته زمنا، والآن أحطمه بعـدما تحطمت فـيه أحلامى دفعة واحدة.

وحدها الخدوش ستظل تعلن عن غيابه.





*كوريدا: هى رياضة مصارعة الثيران المشهورة بأسبانيا

لوحة للفنان: إسماعيل شموط



صورة

البارحـة حاصرتني جـثث الأطفال وتدفقت الدمـاء فوق وسادتي.

كان قـصف المدافع يخرق أذني ونشـيج الأمهـات المكتوم يصـفع هشـاشتي لم يطبـق لي جفن وبت أتـابع ما تجـود به الفضائيات.

استفـقت في الصباح بعد ليلة قـاتمة.. أحسست أن رأسي قنبلة موقـوتة تنذر بالانفجار وأن عـينيّ تائهتان تبحـثان عن شيء ما.

وضعت منال الـقهوة الصـباحيـة أمامي وجلست قـبالتي دون أن تنبس بحرف، وجهـهـا غائم ومـتـقلب كأحـوالي الجوية.

منذ أيام ونحن على هذه الحالة ننتظر عاصـفة قد تأتي بعد هدوء الموج.

أيام ملغزة وحزينة كسرٍ أبديّ.



بعـد لحظات عـادت منال حـاملة الجـرائد الصامتـة مثلنا ثم جعلت تتجـرع معي مرارة القـهوة والـسيـجـارة وعيناها تـركضـان بين الأحرف والكلمات النازفة.

ثم سألتنى بغتة:

-هل اتصلت بغسان؟

أجبتها وأنا أضغط على رأسى بكلتا يدى:

-لم أتمكن من ذلك فهـاتفه المحمـول مغلق وهاتف منزله لا يجيب.

ـ ربما تعطلت الخطوط الهاتفية فى هذه الظروف..

صمتت قليلا ثم قالت بصوت كأنه حشرجة:

-قلبى عليهم هناك.

❖ ❖ ❖ ❖

كيف تسللت تلك الأيام خفـية من بين أيدينا وأين مضت وهى تسحب بساطها من تحت أقدامنا؟

التـقيتـه ذات خريف على باب المركّـب الجامـعى؛ كنت واقفـة انتظر من يدلنى على مكتب التســجيل عندمـا سألنى غســان ذات السؤال وضم حيرته إلى حـيرتى كان صوته حميما وخجلا.. فى حين حملت عيناه العـسليتان أوجاع وانكسـارات التاريخ العربى بأكمله.

حارت الكلمات قليلا على شفتى هذا الشاب الغزّاوى الذى جاء من فلسطين ليدرس الحقوق فى تونس، أصبحنا منذ تلك اللحظة ظلا لبعضنا لا نفترق إلا لنجتمع، جمعتنا المدرجات والمشرب وقاعات السينما وربوة الكلية.

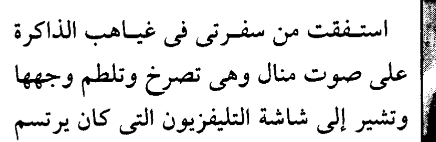
كم كان فاتنا ذلك الحزن الذى يتألق فى عينىّ غسان كلما ذكر وطنه، كأن الأرض ترادف الدهشة الأولى.. لحظة الولادة أو الانبعاث من جديد.

كان يحلم بالعودة دائما، وكان يجمعنا مساء الأربعاء ليلقى على مسامعنا شعر المقاومة.

حدثنى عن سنوات الاعتقال وطفولة المخيم، لكن تلك الأحداث لم تزلزله بل كانت تمنحه دائما شعلة وبريقا لمواصلة النضال.

وها هو اليوم هناك فى غزة، عاد ليؤسس ذلك الوطن الذى لن يشيد إلا بالبنادق -كما كان يقول دائما-





ـ غسّان.. غسّان.

استفقت من سفرتى فى غياهب الذاكرة على صوت منال وهى تصرخ وتلطم وجهها وتشير إلى شاشة التليفزيون التى كان يرتسم

عليها العلم الفلسطينى والمذيع ينقل الخبر بحياد:
-استشهد صباح اليوم المناضل غسان عودة برصاص جندى إسرائيلى وهو فى طريقه إلى مقر عمله.
..غسان عودة.. غسان عودة؛ صورة تكبر.. تكبر.. مثل مساحة الوطن الضائع؛ صورة صامتة ومقتولة.





لوحة للفنان: بيرزيه مورست



عقد ذهبي

ـ هيا احتضنى حملك الوديع

قالها بفرح كبير وهو يكتشف أننا ننتمى إلى نفس البرج.

قلت ببرود:

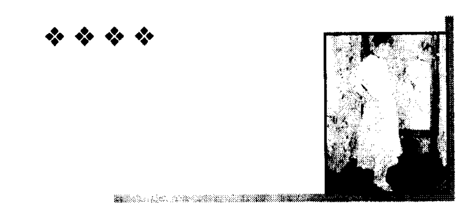
ـ كأنك فتحت قارة جديدة.

ـ بل اكتشفتك أنت.. وهل أجمل من هذا «الاكتشاف»؟

فتح الجريدة على باب الحظ وراح ينبش بين السطور عما تقوله الأفلاك ثم صار يقرأ بصوت مسموع يخبر عن حب أبدى وأيام مشرقة بالفرح، أما هى فظلت صامتة تقول لنفسها:

ـ كيف لم يكتشف ذلك إلا عندما سألنى.. لماذا لم ينتبه إلى عقدى الذهبى الذى يتدلى محلى بصورة الحمل؟!

❖ ❖ ❖ ❖



فوتوغرافيا: ميشيل موكو



محاولة اغتيال

ناعـمة وملسـاء، شـهيـة إلى حد الإغـواء، يهـوى عليهـا بفظاظة ويغـمد فى لحـمهـا هزائمه المتكررة بتـوحش يفض بكارتها ويخط على بياضها قصيدته.

فى مـثل هذه السـاعة يهـدأ قلب الليل ويـتسع لأصـوات المناجاة، وحدها جريدة قديمة وأعقاب سجائر تصغي إليه.

تنتابه رغبة فى قـراءة «زوربا» مرة أخرى، القراءة هوسة.. اللوثة التى لا يريـد أن يشفى منـها مـهـما أمطـرت سمـاؤه إحباطا.

غدا سـيتلقى بشرى مـولوده الأول، وسيـحتفى بقـصائده التى سترى النور بعد أن عاشت دهورا فى العتمة.

ـ هذا ديوانى أضعه بين يديك عسى...

قاطعه قائلا:

ـ لا يهم، لا يهم.. كم ستدفع؟

ـ لكن أنا...



ـ فـهـمت، فـهـمت.. ليس لديك المال ولا تزال تخطو خطواتك الأولى وتحب الشعر.

ـ نـعم وأريـد أن تصـل كلـمـــــاتى إلـى الآخرين...

ـ هذا ما لا أضـمنه لك ولا أظن أن هناك دار نشر ستـفتح ذراعيها لك.

ـ لكننى...

قاطعه قائلا:

ـ أنت شاب ومـايزال العمـر أمامك، لماذا تسـجن نفسك داخل محارة قاتمة؟.. يمكنك أن تحلق بعيدا.. هناك مجالات كثيرة لكسب المال بطريقة يسيرة.

ـ إننى...

ـ لا تقل شيئا يا بنى، ستـدرك ذات يوم أن نصيحتى ثمينة جدا.. إننا نعـيش زمن المال وليس زمن الأحلام.. ستـمضى هذه الحـالة التى تعـيشـهـا لتجـد نفـسك فى بحـر متـلاطم الأمواج، لا يعترف بذوى الأحلام النائمة.

لم يعـد هناك مجـال للكلام.. غادر دار النشـر التى طرق بابها خائبا مثلما غادر سابقاتها.



❖ ❖ ❖ ❖

سـيطعم كل الأوراق للنار.. سـتلتـهـمـهـا ألسنة اللهب.. سـيـقـيم احـتـفـالا مقـدسـا

وسيرقص كالغجر حول نفسه حتى يسقط مغشيا عليه..
ستختفى كل الحروف وتتطاير رمادا.

كان يريد أن يطعم كل ما كتبه للنار لكنه خجل أمام شموخ الأوراق وأخافته الحروف التى صارت شخوصا تطالب برأسه.





لوحة للفنان: عبد الهادى شلا



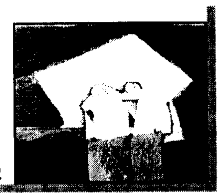
حب عربى في زمن العولمة

قبل أن أحتسى قهوتى أفتح رسالتك؛ رسالة يأتى بها صديق محايد، تمنحنى قبلتك الصباحية وتوقظ فيّ رغبات جارفة.

لقد أدمنت هذا الصديق مذ أدمنتك.. ها أنني أصدق أن العالم أصبح قرية صغيرة، إذ أن قبلتك تخترق المياه الإقليمية وحدود رجال الجمارك وتأتى من قارة أخرى لتحط كنورس شفاف على شفتى.

أعدم كل الطقوس التى دأبت عليها وأتخلى عن تاريخ الحب العربى وأكتب بالإنجليزية «أحبك» لا بأس ليكن الحب عالميا، فصديقنا المحايد لا يفهم شعر المعلقات ولا «وجد» «بن الملوّح»، وأنا أحترمه ولا أريد أن أشوش ذاكرته الإلكترونية.





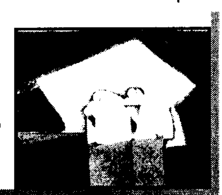
منذ شهر وأنا أجوب المحلات لأقتنى حذاءً لكننى لم أعثر على ما يناسبنى؛ كعب الحذاء لا يعجبنى

والألوان المعروضة لا تلائم ذوقي.. قررت هذا اليوم أن أقتني ما هو معروض دون اختيار وأنا أردد مع بن زيدون «مكرهٌ أخاك لا بطل»، لم تراع الموضة العالمية أذواق ثيابي الكلاسيكية وعليّ منذ الآن أن أعوّد نفسي على الموضة العالمية حتى أدخل زمن العولمة.

❖ ❖ ❖ ❖

لن أعود إلى البيت على الغداء حتى لا تضطرني المواصلات إلى إخلاف مواعيد العمل المسائية سأتناول "وجبة خفيفة" بيتزا أو هامبورجر مع الكولا، لم أستلذ هذه الأكلة التي تدافع الجميع للإقبال عليها.

تساءلتُ هل ستدخل أكلاتنا الشعبية متحف التاريخ ذات يوم؟



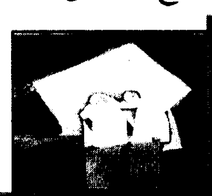
أين أنت الآن في قارة أخرى.. في مدينة أخرى لكنك تتناول مثلي هامبورجر أو أرزا أمريكيا.

❖ ❖ ❖ ❖

هذا المساء دعتنى صديقتى إلى السينما.. متعة كبرى أن تلفنى الظلمة وتلقى الشاشة بريقها السحرىّ وتغمرنى الأحلام وتستفيق انفعالاتى كلها، قالت صديقتى إن هذا الفيلم الأمريكى قد تحصّل على الأوسكار السنة الماضية، ورغم أننى لا أحب أفلام الخيال العلمى إلا أننى وطنت نفسى على وصفة السينما الأمريكية.



أجلس قبالة شاشة التليفزيون، منذ شهر لم أقرأ كتابا من كتبى التى ترقد على الرفوف، بى كسل هذه الأيام ما أن أفتح كتابا حتى أغلقه.



أمى تحدق فى الشاشة بانبهار ولا تلقى بالا لما حولها، تتسكع بين قنوات المسلسلات والموسيقى، تعلق

من حين لآخر على الفيديو كليب وجمال الفتيات اللاتى يتراقصن على الأنغام، هل طلّقت أمى «مطربها المفضل»، هل غادرت زمن العندليب؟

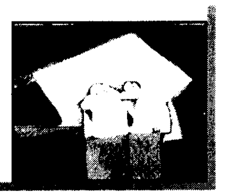
إننى أحتاج وقتا طويلا لأسطح فكرى الذى تهرأ كحدوة حصان عربى.

يقول شقيقى بانبهار شديد إن هذه الفنانة الفاتنة قد أصبحت نجمة عالمية لأنها غنت بالإنجليزية.

❖ ❖ ❖ ❖

يرن هاتفى الجوّال «المحمول»، يأتى صوت عمّى الذى يقيم فى أمريكا، منذ خمس سنوات لم أره يقول لى: إننى أعانى من الاكتئاب وكل أنواع العلاج النفسى لم تفلح معى.





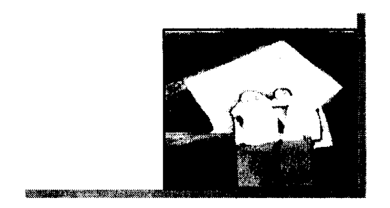
عندما آوى إلى فراشى أحلم بك تطبع على شفتى قبلة حقيقية لم

يجسدها الكمبيوتر، أحلم بصوتك متدفقا لم تذب حرارته أسلاك المحمول..

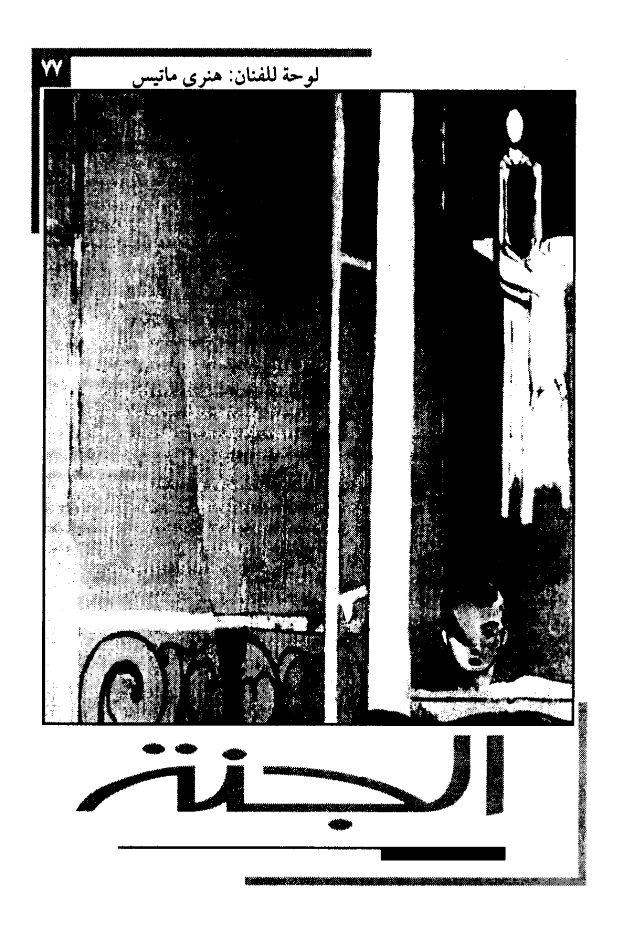
أرانى ارتدى قفطانا مغربيا، احتسى معك قهوة يمنية فى خان الخليلى.

ثم نفترش سجادة قيروانية فى الجامع الأموى وندعو الله ألا تقتل العولمة زمن الحب العربى.





لوحة للفنان: هنري ماتيس

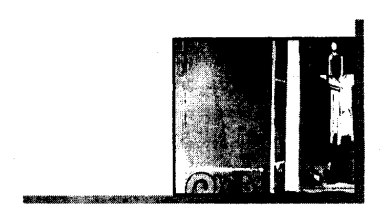


الجنة

أدير ظهرى للعالم والأشياء، لا شىء يسترعى انتباهى سوى سمرتك المدهشة وتألق النهر تحت القمر الحزين، تسقط قبلتك سهوا على يدى قبل الوصول إلى هدفها، ندخن سيجارة واحدة ونرتشف كأسا واحدة ونتوحد أمام إله واحد...

تسقط ذاكرتى فى الكأس.





لوحة من كتاب erotique del,art



وجع



سرير بارد.. أنّات موسيقى.. تخلع ملابسها تتأمل جسدها في المرآة.. وجع في بقعة ما يكبر تحاول الإمساك به، تتحسس مكانه، لكنه يفلت منها.. تحت سماء أخرى ثمة رجل وحيد يحن إلى دفئها يناديه الشوق إليها وتود لو تلقى بجسدها اليانع في لهيبه.. لو جاءها الآن؛ لو سمعت خطاه على السلم وطرقاته على الباب لو جاء الآن... لقالت.. لقالت له: لن أفتح لك..

❖ ❖ ❖ ❖

الفهرس